اسم المادة: الدرس السابع من الآيات ٤٤ : ٥١

من سلسلة: مجالس القرآن (سورة الأعراف)

لفضيلة الشيخ: د. أحمد عبد المنعم

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله

اســـــم المادة: الدرس السابع من الآيات ٤٤ : ٥١
لفضيلة الشيخ: د. أحمد عبد المنعم
رابـــــط المادة: https://way2allah.com/khotab-item-128121.htm

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله –صلَّى الله عليه وسلم–، بإذن الله –عز وجل– نستكمل مجالس تفسير سورة الأعراف، ده المجلس السابع إن شاء الله.

يجب أن ننسب الفضل إلى الله –سبحانه وتعالى–

كنا توقفنا عند قوله –سبحانه وتعالى– آية: ٤٤، "وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ" الأعراف: ٤٤، كنا تكلمنا في المرة الماضية في آخر مشهد لحظات دخول الجنة، لأهل الجنة، وأهل الجنة في قمة الفرح، وأن الله –عز وجل– يبشرهم أنهم ورثوا الجنة بأعمالهم بعد أن قالوا "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ" الأعراف: ٤٣، وذكرنا في المرة الماضية أن الإنسان في تعامله مع ربه –سبحانه وتعالى– حينما ينسب الفضل إلى الله، فيقول الله –عز وجل– له بعملك، فلما قالوا "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ"، قال الله –عز وجل– لهم: بما كنتم تعملون، ولكن الإنسان إذا استكبر على الله –عز وجل–، وظن أن ما فيه من طاعة هو بقوته دون الله –عز وجل–، فهذا يعاقبه الله –عز وجل– ويسلب منه ذلك.

في معاملة الإنسان مع ربه لا ينبغي أن يتكبر الإنسان على ربه، ولا أن يرى عمله، مينفعش الإنسان ينظر إلى صلاته أو إلى قيامه، أو إلى عمله، بل إذا لم يكن من الله عونٌ للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده، إذا لم يكن من الله عونٌ للفتى، لو أن الله –عز وجل– لم يُعِن الإنسان فأول شيء بيجني على الإنسان هو اجتهاد هذا الإنسان، لأنه يجتهد بعيدًا عن المعية، وبعيدًا عن التوفيق والسداد. بعد أن دخلوا الجنة واستقر أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، وإن كانت فيه أقوال أن الآيات اللي جاية دي في لحظات دخول أهل الجنة إلى الجنة، بعض أهل العلم من المفسرين قال "وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ"، أي الذين قُضي لهم بالجنة ولكن لم يدخلوها بعد، لكن الأغلب من المفسرين على أن بعد أن دخل أهل الجنة الجنة، ودخل أهل النار النار و–العياذ بالله–، وبقيت طائفة على الأعراف –سنتكلم على الخلاف فيها–.

لماذا ينادي أصحاب الجنة على أصحاب النار؟

فيقول ربنا –سبحانه وتعالى– بعد أن دخل أهل الجنة الجنة: "وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا"، مشـــهد عجيب أن أهل الجنة بالرغم من نعيم الجنة، وبالرغم من كل ما في الجنة من أشياء تجعل الإنسان مشغول بالجنة وفرح بالجنة، إلا أنه من أوائل ما يتذكر؛ الآيات جت بعد ما دخلوا الجنة مباشرة، ربنا –سبحانه وتعالى– بيقول: "وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ" الأعراف ٤٣: ٤٤، يعني هما لسه بيُبشروا بوراثة الجنة ومباشرة من أوائل الأشياء التي يتذكرها أهل الجنة، والتي قد تشغلهم عن بعض نعيمهم في الجنة، أن ينادوا على أصحاب النار.

طب ليه واحد في الجنة، ومشغول بنعيم الجنة ولذّات الجنة، ليه مصمم أنه ينادي على أصحاب النار؟ ليه من النعيم الذي يُعطاه أهل الجنة أن يُســـمح لهم بالنداء على أهل النار، ليه؟ لماذا ينادي أهل الجنة على أهل النار بعد أن دخلوا الجنة؟ ويخبرنا ربنا –سبحانه وتعالى– في هذه السورة تحديدًا بهذا النداء، ونادى أصحاب الجنة بعد أن أصبحوا ملازمين مصاحبين لها، أصـــبحوا من أصـــحاب الجنة وتيقنوا من دخولهم للجنة، وده اللي رجح قول جمهور المفســـرين أن هما خلاص دخلوا الجنة، "وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا"، لماذا أول حاجة لماذا ينادون؟ ثانيًا هل النداء عام أم خاص؟ ثالثًا لماذا حينما ينادون عليهم يذكرون قضية الوعد؟

نعيم أهل الجنة لن يكتمل إلا بالتشفّي بمن ظلموهم

أول شـــيء لماذا ينادون مرتبطة بمســـألة عام أو خاص، يعني هل أي حد في الجنة، كل أصـــحاب الجنة بينادوا على كل أصـــحاب النار؟ ولا مجموعات في الجنة معينة بتنادي على مجموعات خاصـــة في أهل النار؟ أن مش كل الجنة بينادوا على أهل النار، لا مجموعة معينة بتنادي على مجموعة معينة في النار، اللي كانوا يعرفوهم، اللي كانوا بيعذبوهم، الذين كانوا يســتكبرون عليهم، الذين كانوا يعذبونهم، هؤلاء يُذهب الله –عز وجل– غيظ قلوب أهل الجنة بأن يعطيهم هذا النعيم، لا يكتمل نعيم أهل الجنة إلا بالتشـــفّي من الذين كانوا يعذبونهم في الدنيا، يعني جزء كبير من اللي دخل الجنة مات ولم يرى النصر بعينيه، لم يُذهِب غيظ قلبه في الدنيا، فينتظر هذه اللحظة.

جزء كبير من اللي ماتوا مستضعفين من أهل الجنة، من أهل الإيمان ماتوا دون أن يروا بأعينهم ولا أن يتشفُّوا، دون أن يروا عذاب أهل النار، فينتظر هذه اللحظة ويظل يتذكر وبمجرد دخوله الجنة ينادي على أهل النار، تحديدًا ينادي على أشـخاص معينين، أتذكر يا فلان، أتذكر يا فلان، وينادون ويقولون "أَن قَدْ وَجَدْنَا"، للتأكيد، "مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا"، قضـية اليقين في الوعد، كان أهل الإيمان في الدنيا موقنين بموعود الله.

المستضعفين في الدنيا على فريقين

المشهد هنا غالبًا ما بين أهل الإيمان المستضعفين. لأن قضية المستضعفين والمستَكبرين، أو الأتباع والقادة ذكرناها في الدرس الماضي في أولاهم وأخراهم، ولما ربنا –سبحانه وتعالى– قال إن فيه مستضعفين سقطوا في الامتحان، واتبعوا – أصبحوا– أتباع للقادة، يعني فيه مستضعفين كافرين، وفيه مستضعفين أصرُّوا على الإيمان، فانتهى الكلام عن المستضعفين الكافرين الذين أصبحوا أتباع للقادة، هل كل الذين كانوا مستضعفين في الدنيا كانوا أتباع للكافرين؟ ولا منهم من قاوم وصبر وصابر، فبيخبرنا ربنا –سبحانه وتعالى– لا إن فيه أُناس من أهل الإيمان بالرغم من استضعافهم ومن قلة عُدتهم وعتادهم وزادهم في الدنيا، إلا أنهم رفضوا وأبوا أن يسيروا خلف هؤلاء القادة، فكان هؤلاء القادة من الكفار يعيِّرونهم ويسخرون منهم، يقول أنت فاكر الإيمان بتاعك هينفعك؟

"غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ" الأنفال: ٤٩، أنا اللي بعذبك، أنا اللي بضربك، أنت فاكر هو ربنا هيعملك إيه؟ ماذا يفعل لك إيمانك؟

في الجنة سينسى أهل آلام الدنيا

وكان أهل الإيمان موقنين بموعود الله، أن الله سينصر هذا الدين، وأن الله –عز وجل– سيدخلنا الجنة، وأننا سوف يأتي علينا يوم ننسى كل هذا الألم، وننسى كل هذا العذاب، صدَّقوا بالموعود، فأتت هذه اللحظة التي كان ينكرها القادة، وكان يسخر منها القادة، الكفار كانوا يسخرون من هذه اللحظات، فتأتي هذه اللحظات فيقوم أهل الإيمان ليذكروا هؤلاء المستكبرين، وكل واحد بيذكِّر شخص أو مجموعة، يقول له، لقد وجدت ما وعدني ربي، لقد نسيت كل الآلام بغمسة واحدة في الجنة نسيت كل شيء، لقد كان الموعود حقًا، لقد ذقت النعيم، لقد نسيت الألم، فهل ذقت أنت ما كنت أقوله لك، هل ذقت الجحيم؟ هل ذقت الغسَّاق؟ هل الآن ارتديت "سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ" إبراهيم: ٥٠، هل ذقت هذه الأشياء "أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ" الذين كنتم تنكرونه " فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا". للتشفِّي، لزيادة إذلالهم.

حسرة أهل الكفر في الدنيا والآخرة

فيه لون من ألوان العذاب اسمه العذاب النفسي، وهذا موجود في الدنيا من أول المعيشة الضنك، للعاصي والكافر، إلى أن يستمر العذاب النفسي، منها عذاب التبكيت، يُبكَّت الكافر، يبكِّته الشيطان، ويُندِّمه الشيطان، وتُبكِّته الملائكة، ويُبكِّته أهل الإيمان، الكل، يحسِّره، يقول له مش قلنا لك الملايكة، مش رسل ربنا جت لكم، ثم يأتيهم المؤمنون ويتكلمون لهم، هل وجدتم ما وعد ربكم حقًا؟ نحن وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا، مسألة أن بالرغم من الاستضعاف والتعذيب والآلام والفقر التي كان يمر بها أهل الإيمان، إلا أنهم كانوا موقنين بالوعد، وده أمر صعب، الابتلاءات والظروف، بتخلي الإنسان ينسى وعود الله، ينسى الجنة، ينسى لذة النظر إلى وجهه، ينسى نسيم الجنة، ويعيش ويستغرق في لحظات وآلام الدنيا.

أن يستمر الإنسان محافظًا على هذا اليقين بالرغم من كل الآلام هذا أمر صعب، لذلك يفتخرون بيقينهم في الوعد.

الفرق بين الإيمان والإسلام

لذلك قال ربنا –سبحانه وتعالى– عن تعريف المؤمنين، من هم المؤمنون حقا؟ لما "قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا" الحجرات: ١٤، فارق بين إسلام الأعراب وإيمان الأصحاب –أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلم–، فارق بين إسلام الأعراب الذي ادعوا ذلك، وبين إيمان الأصحاب، أصحاب النبي –صلّى الله عليه وسلم–، الذين صبروا على الإيمان بالرغم مما لاقوه من آلام ومن تعذيب ومن فقر، "قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا" "وَلَمَّا" ولم يأتي الأوان بعد، "وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ".

تعريف الإيمان

طب ما هو تعريف الإيمان حتى نقيس أنفسنا، قال ربنا –سبحانه وتعالى–، في الآية التي تليها آخر سورة الحجرات، "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ" الحجرات: ١٥، حتى تُسمى صادق في دعواك أنت تدَّعي أنك مؤمن، "قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا"، هذه دعوى ولابد لكل دعوى من بيّنة، أنت تدَّعي أنك مؤمن، قد تتلفظ بألفاظ الإسلام، قل أسلمت ولا تقل آمنت، فالإيمان في القلب، ولا يظهر هذا الإيمان الذي في القلب إلا بالبلاء، إلا بالتضحية، إلا بالبذل، هكذا يظهر الإيمان، فيخبرنا ربنا –سبحانه وتعالى– أن الإيمان مراحل وليس تمتمة بكلمات وتقول أسلمت. الإيمان مراحل؛ فإيمانٌ فيقينٌ فجهاد، "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ"، دي المرحلة الأولى، أنه يعايش معاني الإيمان ويذوق طعم الإيمان.

هذا الإيمان لا يَلبث إلا أن يمر بابتلاءات، وعواصف ورياح، وظروف، وقسوة، وشدة، هذا الإيمان، فإذا ظل هذا الإيمان ثابتًا، راسخًا، لايتحرك، بالرغم من كل هذه العواصف والزلازل، هي مرحلة "ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا"، أي لا يصيبه الشك، لا يصيبه الريبة، لا يرتاب في موعود الله، هي دي ثم، عشان كده ثم دي بتفيد التراخي، إن بيقعد مرحلة عشان ينتقل من مرحلة الإيمان إلى مرحلة اليقين، "ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا"، لم يعد هناك ريب، أصبح إذا رأى شيئًا يعجبه بكل بساطة يقول: اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، إذا تعرض لألمٍ أو إلى بلاء يقول إنما هي ساعة دون ساعة، إنما هي لحظات ونلحق بالجنة، هكذا يذكّر نفسه دائمًا بموعود الله، هي دي "ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا".

ثلاث مراحل مهمة في الآية الكريمة

ومن علامات عدم الريبة في الإيمان، المرحلة الثالثة، "وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ"، الذي لا يصل إلى هذه المرحلة الثالثة، البذل والتضحية، وبذل الجهد والجهاد، والمجاهدة بالمال والنفس، الذي لا يصل إلى هذه المرحلة هو لم يعبر على قنطرة "ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا"، يعني الآية ثلاث مراحل، "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا"، لذلك عُطفت بالواو

مش بثم، أول لما وصل إلى "ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا"، جاهد مباشرة بأموالهم وأنفسهم، تعريف هؤلاء "أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ"، لمن يسأل عن الصادقين.

لمن يسأل عن صدق دعواه، هل مررت بهذه المراحل؟ "ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا"، هؤلاء ذاقوا طعم اليقين الذين قالوا: "وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا" الأعراف: ٤٤، هذا الوعد هو الذي كان يصبرنا في الدنيا، ما الذي يُصبِّرنا على البلاء، وعلى الفقر، وعلى الألم، وعلى الشدة، إلا أن تستحضر وعود الله؟ ما الذي يصبِّر المؤمن إلا أنه بين كل لحظة ولحظة يتنسَّم ريح الجنة، هذا هو الذي يصبِّره على هذه الدنيا، فمجرد ما يدخل يقول: لقت نلت الأمنية، وجدت هذا الوعد حقيقةً وصدق المرسلون.

تذوق موعود الله –عز وجل–

لذلك كان الإمام الهروي في منازل السائرين، وابن القيم لما شرح المنازل في مدارج السالكين، واتكلم عن منازل الذَّوق، أن الإيمان مش مجرد أشياء بتتنسَّمها لا أصبحت بتتذوقها، فذكر من مرتبة الذَّوق اليقين، ذكر أول منزلة قال: "ذوق التصديق طعم العِدة"، العِدة يعني الوعد، يعني أن أنت أصبحت الوعود اللي أنت بتقراها أن مثلًا من فعل كذا فله كذا وكذا في الجنة، لما بتعمل العمل بتُصبح موقن أن الآن حصل في الجنة هذا الوعد، فتزداد يقينًا وبذلًا، لو تصل لهذه المرحلة، أن على طول أصبحت بتربط بين أفعالك في الدنيا وبين ما يحدث "فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ" الروم: ٤٤، بما يحدث في الجنة فتصبح على يقين بأفعالك، فانتقلوا إلى ذوق اليقين، ذاقوا طعم اليقين حقًا.

في الآخرة لا مجال للإنكار

فقالوا بمجرد دخولهم: "وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا"، ما كنتم تسخرون منه من وعود هل وجدتموه؟ هل وجدتم الحيات، والعقارب، والأفاعي، وجهنم والمطارق من حديد، هل وجدتم هذا؟ " قَالُوا نَعَمْ"، لا مجال للإنكار، لا مجال لتخبئة مشاعرهم، لما واحد يجي يشمت فيك وأنت عايز تخبي شعورك، تروح مثلًا لواحد ساقط تقول له مش قلت لك ذاكر، مبسوط أنت كده، يقول: آه أنا مبسوط، مش عايز يعترف، أنا كان نفسي أسقط أصلًا، فتلاقيه بيخبي إيه؟ بيخبي مشاعره، فهؤلاء في أهل النار لا يستطيعون تخبئة هذه المشاعر، "قَالُوا نَعَمْ" اعترفوا.

كيف سيواري سوءته، كيف سيواري هذا الوجه و–العياذ بالله– الذي شُوه من نار جهنم، وده أحد معاني "يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ" الأعراف: ٤٦، أي بتشويه النار لوجوههم –والعياذ بالله–، " قَالُوا نَعَمْ"، في هذه اللحظة حينما اعترفوا "فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ"، كانت خصومة بينهم، هذا يسمونه يوم الآذان، كان بعض السلف حينما ينصح

الحُكَّام كطاووس وغيره، يذهبون إلى الحُكام يقولون: اتقوا يوم الآذان، حينما يفصـــل بيننا الله، "فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ"، خلاص طرد من رحمة الله، لم يعد هناك مجال للتراجع.

ما هي صفات الظالمين؟

"لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ"، من هم الظالمون؟ ثلاث صـــفات، "الَّذِينَ يَصُـــدُّونَ عَن سَـــبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ" الأعراف: ٤٥، ســورة هود نفســها لكن "وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ " هود: ١٩، "الَّذِينَ يَصُـــدُّونَ عَن سَـــبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا" ســورة هود زيادة في التأكيد زيادة في الإجرام، هنا "وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ"، تعالوا نشــوف إيه المواصــفات، الذين استحقوا بهذه المواصفات و–العياذ بالله– استحقوا اللعنة، والطرد ووسم ووصف الظالمين، وهؤلاء هم الذين كانوا تحديدًا ينادونهم أهل الإيمان، أهل الإيمان كانوا ينادون على هؤلاء تحديدًا، مش كل واحد عاصـــي، لا كانوا ينادون على هؤلاء الظلمة تحديدًا.

كما فعل النبي –صلَّى الله عليه وسلم– بعد معركة بدر، ونادى على أبي جهلٍ وغيره من القادة، الظلمة، المستكبرين وقال لهم: "فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا"، حتى تعجب عمر، يا رسول الله تنادي أناس قد أصبحوا جيف، فقال يا عمر لست أسمع منهم الآن، هم الآن يســمعون ندائي، يحسّــرهم النبي –صــلَّى الله عليه وســلم–، نفس الآيات، "فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا" وأخبرهم النبي –صــلَّى الله عليه وســلم– أنه وجد وعد الله في النصــر، فوعد الله لأهل الإيمان إما بالنصــر في الدنيا، أو بالجنة يوم القيامة، فإذا مات الإنسان مُستضعفًا ولم يذق طعم النصر انتظر طعم الجنة، فإذا مات الإنسان المؤمن المُستضعف ولم يذق طعم النصر في الدنيا، انتظر طعم الجنة يوم القيامة، هذا الذي مات مُستضعفا، منتظرًا لطعم الجنة يوم القيامة، هذا لم يستعجل من أجره شيء، ادُّخِر له أجره كاملًا يوم القيامة.

أهل الباطل يصدون الناس عن طريق الله

"فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ" الأعراف ٤٤: ٤٥، المفسرين اختلفوا هل يصدون ده بيسموه فعل لازم، يعني يصدون أنفسهم، ولا فعل متعدّي، والغالب إن هو فعل متعدّي، "يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ"، حائط صــد يضــعون حائط صــد صــدود، حتى لا يســير الناس في الطريق إلى الله، إذًا أهل الباطل يعرفون ســبيل الله جيدًا، ثم يأتون إلى هذا السبيل ويضعون الصد، والمنع، حتى لا يسلك الناس هذا الطريق، "الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن"، عن ده بيسموه حرف مجاوزة، حتى يتجاوزوا ميروحوش، ينصرفوا إلى طريق آخر.

ما معنى"وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا"؟

نفس الذي أراد فعله مين في أول السورة، الشيطان حينما قال ماذا؟ حينما قال: "لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ" الأعراف: ١٦، هم يعرفون الصراط، يعرفون السبيل، الشيطان اختار القعود مش وضع المصدات، الشيطان هيقعد، "لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ"، هؤلاء اختاروا طريقًا آخر، كأن شياطين الإنس والجن ينوعون في طرق الصد عن سبيل الله، كيف يصدون عن سبيل الله؟ "الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ"، كيف يصدون عن سبيل الله؟ "وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا"، يعني إيه "وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا"؟ عايزكم تركزوا معايا عشان نفهم المعنى ده، لأن الجملة دي "وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا"، أو تبغونها عوجا، جت خمس مرات في القرآن، مرتين في الأعراف، مرة هنا موطن معانا ومرة مع قوم شعيب، "وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا" الأعراف: ٨٦، والموطن اللي معانا، مرتين في الأعراف، مرة في هود، ومرة في آل عمران مع شبهات النصارى، ومرة في سورة إبراهيم مع المستكبرين الذين يعذبون أهل الإيمان.

جت خمس مواطن، تكرار هذه الكلمة لها دلالة، بهذا النص، يبغونها عوجا، أو تبغونها عوجاً، والصد عن سبيل الله هذا السياق تكرر، طب يعني إيه "وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا"؟ جمهور المفسرين احنا نمشي مع بعض كده القول الأشهر، الهاء يبغونها، الهاء دي بتعود على إيه؟ الجمهور قال سبيل الله، قالوا عندنا قاعدة بتقول الضمير يعود على أقرب مذكور، أقرب حاجة مذكورة هي كلمة إيه، الذين يصدون عن سبيل الله ويبغون سبيل الله عوجا، ده بيسموه المُضمر والظاهر، لو شلنا المضمر وحطينا الاسم الظاهر، يبقى هيكون الكلام، الذين يصدون عن سبيل الله ويبغون سبيل الله عوجا، يبقى القول الأشهر أن الهاء بتعود على إيه؟ سبيل الله.

طب يعني إيه يبغون سبيل الله عوجا، يعني احنا نقسم كده، الهاء لو بتعود على السبيل هيبقى ليها أكثر من معنى، الهاء بتعود على الدنيا، يريدون الدنيا معوجة، عايزين الدنيا مفتوحة، ويعمل اللى هو عايزه، أنه يتَّبع الشهوات، طيب لو الهاء بتعود على سبيل الله وده القول الأشهر، الجمهور الأكثر، اختلفوا إيه معنى "وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا"، يبغون يعني يطلب لك شيء، وأحياناً بتُحذف اللام، زي ما في قول الله –عز وجل– "يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ" التوبة: ٤٧، "وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۗ"، سورة التوبة "يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ"، يريدون لكم الفتنة، أي يريدون فتنتكم، فيبغونها عوجا، يريدون لسبيل الله العوج.

أهل الباطل يلقون الشبهات ليصدوا الناس عن الطريق المستقيم

يعني إيه برضه؟ احنا كل ده بنحاول بس نفسر في الألفاظ عشان ندخل في المعاني، يعني إيه يريدون لسبيل الله العوج؟ أحد المعاني أن سبيل الله طريق مستقيم، "لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ"، فيه صراط مستقيم وده سبيل الله، هما بيجوا عند السبيل ويريدون أن يظهروا هذا السبيل للناس على أنه أعوج، يبغون له العوج، يلتمسون له العوج، عايزين يظهروه للناس على أنه معوج مش طريق مستقيم، فيصرفون الناس عن السير، إزاي يفعلون ذلك؟ بالشبهات مثلًا، يعني عايزين

الناس لما تجي تبص على طريق ربنا كده، فالناس من بره تُبغض الطريق، شايفين الطريق أعوج، صعب، صعب السير فيه، فيضعون العراقيل والشبهات والفتن، والمكاره أمام هذا الطريق.

زي ما الشيطان عمل في نفس السورة، "مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ" الأعراف: ٢٠، بيبغضه في أمر ربنا، فالناس ينظرون إلى سبيل الله على أنها معوجة، فأحد معاني "وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا"، يلتمسون لها العوج عن طريق الشبهات والفتن، فيحطوا شبهات في طريق ربنا، ويحطوا فتن في طريق ربنا، فالناس لا تستطيع السير، بل إذا ساروا في الطريق لم يصلوا، لأن الطريق أصبحت بالنسبة لهم إيه؟ معوجة، سبيل مستقيم، هما حاولوا يحودوا الطريق، ده قول تاني عن طريق البدع، يقول له تعالى أنت عايز توصل لربنا، ويمشيه في طريق تاني خالص، يقوم بإيه باعجواج الطريق، إن هو يحود الطريق.

وأحد معاني "وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا"، أيضًا يلتمسون لها العوج، أنه عايزين دين ربنا ميبقاش مستقيم، يعني طريق ربنا حلال وحرام مستقيم واضح، هما عايزين الدنيا تبقى إيه معوجة كده، يعمل اللي هو عايزه، فالبتالي "وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا"، يُدخل الشهوات على الدين، ويشرعن هذه الشهوات، يقوم بشرعنة هذه الشهوات، فيصبح طريق الله –عز وجل– أعوج مش مستقيم، إزاي؟ إنه زي ما عمل "وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا" الأعراف: ٢٨، يعني يفعل الفاحشة، برضه معانا في السورة "وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا"، فيوصلوا أن طريق ربنا للناس عبارة عن طريق معوج، مليء بالشهوات، فيلتمسون لسبيل الله عوج عن طريق الشبهات، الفتن، الشهوات، كل هذه الأشياء تجعل الناظر إلى طريق الله والسائر في طريق الله لا يصل.

سبيل أهل الباطل في صرف الناس عن الطريق المستقيم

الشيطان قال: أنا هقعد على الطريق هسيبه مستقيم وهقعد، دول قالوا: احنا هنحود الطريق فمحدش هيوصل، فهناك من يجلس، فالذي لا يسير خلف هؤلاء وسار في الطريق المستقيم هيقابل مين؟ هيقابل الشيطان برضه، فأنت في كل الأحوال لابد من فتن في الطريق، دول قالوا لا احنا مش هنعرف نصد المؤمنين عن سبيل الله، فيه ثبات وفيه قوة، احنا نحاول نخلّي الطريق معوج، فيه عوج في الطريق، لذلك ربنا في السورة اللي بتصرف عنك الفتن، الفتن يعني تخليك تنصرف عن الطريق، إيه السورة اللي بتصرف عنك أكبر فتنة؟ سورة الكهف، بتصرف عنك أكبر فتنة اللي هي فتنة الدجّال، الفتن تخليك تنحرف عن الطريق.

تمسكنا بالقرآن هو ما يثبتنا على الطريق المستقيم

في بداية السورة "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۜ" الكهف: ١، محدش يعرف يخلّي القرآن معوج، فتحمد الله على هذه النعمة، لأن الفتن هتخليك تبتعد، طب أنا إيه اللي هيثبتني في الطريق، تريد شيئًا في الطريق

ثابتًا لا يعوج أبدًا، هو القرآن، فإذا تمسكت بالقرآن سرت على الطريق المستقيم، كنت مستمرًا على الطريق المستقيم، واضح المعنى؟ يعني "وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا"، الإمام الطبري قال لا يريدونها مستقيمة، مش عايزين الطريق يبقى مستقيم، عايزينه إيه؟ معوج وقال بعضهم: يلتمسون لها الشبهات، والفتن، وقال بعضهم: يجعلون الطريق مناسبًا لأهوائهم، يقعد يحود في الطريق.

تخيل كده الطريق المستقيم أهو، ده حرام، وده حرام، وده حرام، وده حلال، وده حلال، وده حلال، السادة، القادة المتبوعون يجي عند حتة في الدين ويحودها عشان تناسب هواه، يأولها يقوم بلي عنق الناس حتى تناسب هواه، ياخد من الدين مثلًا طاعة أولي الأمر، ويسيب تطبيق الشريعة، فيقوم كاسر حتة، ويجي عند هنا، ويختار حتة من الدين فيقوم لاوي حتة، يقعد يقوم بلي الطريق، فيصبح الطريق في النهاية إيه؟ أعوج، لإن مش ده الدين، الدين متكامل، هو بيختار جزء ويسيب جزء، ويختار جزء ويسيب جزء، فيصبح الطريق الناظر إليه يراه معوج، وليس هذا هو طريق الله، فقالوا يقوموا باعوجاج الطريق حتى إيه؟ يناسب أهوائهم، يختار من الدين ما يناسب هواه، ويترك من الدين ما لا يناسب هواه.

إعجاز القرآن وتعدد المعاني للآية الواحدة

وقال بعض أهل العلم، وده القول الأقل انتشارًا، وإن كان مروي عن بعض السلف، "وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا"، أن عوج دي حال منهم هما، يعني يريدون أن يسيروا في الطريق ولكن بفكر ضال، وده عن طريق البدع والضلالات، وإن هما يخترعوا شيء في الدين، كالسجود للآلهة، كما روي عن ابن عباس، إن هما يسجدون للآلهة ويقولون هذه الآلهة سوف تقربنا إلى الله، يبقى كلمة "وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا"، والخلافات اللي فيها، الهاء بتعود إلى سبيل الله ولا إلى الدنيا، والخلافات، هذه الكلمة تعطي معاني واسعة جدًا، وده من إعجاز القرآن، اختار كثير من أهل العلم، أو بعض أهل العلم، إن لما تكون المعاني كثيرة مش متنافرة نحمل القرآن عليها كلها، هذا من إعجاز القرآن أن احنا ممكن نحمل هذه الآية على كل هذه المعاني.

كيف يكون الصد عن سبيل الله؟

فكيف يصد عن سبيل الله؟ اختيار ما يناسب هواه، وضع الشبهات والفتن، اختراع دين جديد، الطواف عُراة أو الآلهة، صد الناس وتعذيب من يسير في هذا الطريق، كل هذه من معاني "وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا"، اختيار الدنيا، "يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ" إبراهيم: ٣، أيضًا في سورة إبراهيم "وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا"، فلما استحبوا الدنيا على الآخرة صدوا عن سبيل الله، "يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ" الأعراف: ٤٥، نجد أن يصدون فعل مضارع، يبغونها فعل مضارع، وهم بالآخرة، دي جملة إسمية ولا فعلية؟ دي جملة إسمية، الضمير من الأعلام، اسم "وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ".

الكافرين لا يؤمنون بالآخر ولذلك يلقون الشبهات

مسألة الصد ومحاولات أنهم يبغون لسبيل الله العوج، مسألة متكررة بأساليب مختلفة، إنما اليقين اللي ثابت عندهم الكفر بالآخرة، إن هما مش عايزين آخرة، مسألة رفض الكفار للآخرة، ده أمر لما تيجي تدرس كده في القرآن بعد كل شوط طويل من مجادلة الكفار وشبهات الكفار، يخبرنا ربنا –سبحانه وتعالى–، دعك من كل هذه الشبهات، الدافع الرئيسي أنهم لا يريدون الآخرة، زي بعد شوط طويل من مجادلتهم وشبهاتهم في سورة الفرقان، يقول ربنا: "بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ" الفرقان: ١١، سيبك هما مش قضية بقى أن القرآن ده نزل على حد تاني هو اللي علمك، أو إن إزاي لو ربنا كان نزل عليك الجنات.

مجادلة طويلة في سورة الفرقان، يقول ربنا في آخرها دعك منهم، الدافع الرئيسي "بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ"، كما قال ربنا في سورة القيامة: "بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ" القيامة: ٥، استفاد أنا إيه من الموضوع ده في واقع الحياة؟ كثير من الشبهات هو عمال الملحد أو الكافر الفاجر، الذي يريد أن يبتعد عن الطاعة، هو يجيب لك شبهات يقول أصل أنا مش مقتنع، أصل الأمر ده مش مقنع، أصل الأمر ده مخالف للعقل، ويقعد يجيب حاجات، والدافع الرئيسي أنه لا يريد الآخرة؛ مش عايز يتحاسب، مش عايز يوم يُحاسب فيه، لا يريد تكليف.

من أكبر أسباب الضلال المراوغة من التكليف

من أسباب الضلال الرئيسية المروغ من التكليف، في موضوعات سورة البقرة، لذلك خُتمت سورة البقرة "لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا" البقرة: ٢٨٦، من أهم أسباب الضلال؛ المراوغة من التكليف، فتجد أنه يصد عن سبيل الله، بأساليب مختلفة، يجرب مرة طريقة، ومرة طريقة أخرى، "وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا"، يجرب الشبهات، يجرب الفتن، يجرب الشهوات بصد الناس عن سبيل الله، الثابت الذي لا يتغير؛ الاسم. الجملة الفعلية، اللي بتناسب التغير والتجدد، والاستمرار، يعني واحد يلعب هو مش على طول بيلعب، هو بيجي فترات يلعب كل فترة، طب واحد اسمه أحمد، هو على طول اسمه أحمد حاجة ملازمة له، فأصبح اسم.

لذلك الثابت معاهم أنهم "وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ"، ده الثابت، الكفران بالآخرة، وجاءت بصيغة إسمية، "وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ".

الصد عن سبيل الله سبب في زيادة العذاب

أهل الإيمان دخلوا الجنة، بمجرد دخولهم الجنة من أوائل ما يتذكرون في الجنة، الذين كانوا يستكبرون وكانوا يعذبونهم، فنادوا عليهم، لقد وجدنا وعد الله، فهل وجدتم وعد الله؟ قالوا نعم، أذن مؤذن أن لعنة الله أي لن تنال الرحمة أشخاص معينين، من هم، الذين كانت هذه صفاتهم، الذين كانوا كفار بالآخرة وكانوا يصدون عن سبيل الله، لأن الكافر الصاد عن

سبيل الله عذابه أعلى من الكافر الذي لم يصد عن سبيل الله، "الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ" النحل: ٨٨، يبقى زيادة العذاب بالصد عن سبيل الله.

من هم أصحاب الأعراف وأين يكونوا؟

"وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ" الأعراف: ٤٦، بينهما اللي هما مين ومين؟ أهل الجنة وأهل النار، الحجاب سور بينهم، "وَعَلَى الْأَعْرَافِ"، أو وعلى هذا السور وسُمّي الأعراف لأنه عالي، كعرف الديك الشيء العالي، الذي بيشرف ويرى الأشياء، "وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ"، يبقى بين أهل الجنة وبين النار سور على هذا السور رجال، مش المقصود الرجال، لا مجموعة فيهم الرجال والنساء وتغليبًا ذُكر الرجال، "رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ"، كلًا اللي هما مين يعرفون مين ومين؟ ركزوا معايا عشان الآيات دي بتلخبط، يعرفون مين ومين؟ يعرفون أهل الجنة، ويعرفون أهل النار.

يبقى أهل الجنة دخلوا الجنة، ذاقوا وعد الله، استبشروا، أرادوا أن يشفوا ويذهبوا غيظ قلوبهم فنادوا على أهل النار. فيه بقى فريق تاني موجود ما بين أهل الجنة وأهل النار، وسمع بهذا النداء، فتكلم هذا الفريق موجود بين أهل الجنة وأهل النار على الأعراف، يعرف الفريقين، عارف دول المستضعفين بتوع أهل الإيمان، وعارف المستكبرين دول، وعارف الاتنين كويس، "يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ"، ده موقعهم ودي معرفتهم، ماذا يقولون "وَنَادَوْا"، هينادوا على مين الأول؟ هينادوا على أصحاب الجنة، وبعدين هينادوا على أصحاب النار، بعد كده هنتكلم عن أصحاب النار.

أهل الأعراف في منزلة وسط بين الجنة والنار

يعني عندنا أهل الجنة تكلموا أولًا، ثم أهل الأعراف تكلموا ثانيًا، ثم أهل النار تكلموا ثالثًا، والترتيب ده اللي خلّى أيضًا كثير من المفسرين يقول إن أهل الأعراف هم منزلة وسط بين الجنة والنار، تعالوا نتكلم الأول من أهل الأعراف والخلاف اللي فيهم.

من أهل الأعراف؟ اختلف المفسرون من هم أهل الأعراف، جمهور المفسرين أن هؤلاء منزلة أقل من منزلة أهل الجنة، وأعلى من منزلة أهل النار، ده جمهور المفسرين، أن حسناتهم لم تصل إلى مرتبة تدخلهم الجنة، وأن سيئاتهم لم تصل إلى مرتبة تدخلهم النار، دول مين؟ أهل الأعراف، مين اللي اختار كده؟ جماهير المفسرين، ورجحه الطبري وابن كثير وغيره من المفسرين.

رأي أهل العلم في تفسير أهل الأعراف

خلينا نقسم عشان الموضوع يبقى مترتب في ذهننا، أهل الأعراف، المسلمين انقسموا قسمين، إن هما ناس مذنبين، وناس أفاضل، يعني فيه ناس قالوا إن هما ناس حلوين جدًا جدًا جدًا، وناس متوسطين، جمهور المفسرين قالوا أن هما ناس إيه

متوسطين، تساوت حسناتهم مع سيئاتهم، دول جمهور المفسرين، فيه ناس قالوا لا، أن كلمة على الأعراف، والأعراف يعني سور عالى ودول الناس هينادوا على أهل الجنة وأهل النار في هذا الموقف العصيب، هذا يدل على أن هؤلاء أفاضل، يبقى هنقسم كده أهل الأعراف، ناس قالوا دول أفاضل ودول القلة، وناس قالوا لا دول ناس توسطت حسناتهم وسيئاتهم.

اللي قالوا أن هما أفاضل اختلفوا، قال بعضهم أنهم العلماء الفقهاء الصالحون، وقال بعضهم هؤلاء الملائكة، قال بعضهم هؤلاء الشهداء، زي ما قلنا جمهور المفسرين عكس القول ده، وترجيح كثير من المفسرين كالطبري وابن كثير وغيره وأنا أميل أيضًا لقول الجمهور، ليس إلى هذا القول، لكن عشان لما تقابل القول ده تعرف أن هو موجود، احنا مش هنناقش الأقوال لأن كل اللي قال الملايكة طب إزاي ربنا يقول على الملايكة رجال، فقال مش المقصود بيها هنا مش الرجال، لما ربنا قال "رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ" الجن: ٦، فمش القصود أن رجال يعني ذكور، بل أي ليسوا إناث، لأن المشركين كانوا يقولون على الملائكة إناث، المهم فيه شد وجذب طويل.

وبعض اللي اختار من المفسرين أنهم الشهداء والأفاضل، قال كلمة رجال تأتي في القرآن دائمًا ممدوحة، "وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ" القصص: ٢٠، "رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ" النور: ٣٧، فهنا يكون فيها نوع من المدح، فقال مينفعش يبقى موطن ذم، لكن جمهور السلف، المروي عن حذيفة وابن عباس وغيره، أنهم تساوت حسناتهم مع سيئاتهم، طب إزاي تساوت حسناتهم مع سيئاتهم؟ كتير من المفسرين سابها كده مفتوحة وقال أنهم عملوا طاعات، لم تصل بهم هذه الطاعات إلى دخول الجنة، وفعلوا سيئات لم تصل هذه السيئات إلى دخول النار.

فتجد قول منتشر في كتب التفاسير هؤلاء الذين جاهدوا وعصوا أباءهم، خرجوا للجهاد وكانوا عاصين لأبائهم، ليه اختاروا القول ده؟ قالوا احنا هنجيب أعلى طاعة الجهاد، وأعلى معصية اللي هما العقوق ودول جمعوا بين الاثنين، كانوا بيعملوا من أعالي الطاعات؛ مجاهدين، وكانوا بيعملوا أعالى المعصية اللي هي العقوق، فوقفوا في النص، بعضهم قال لا هنا ربنا قال رجال، والطاعة الوحيدة الخاصة بالرجال هي الجهاد، عشان تعرف المفسرين بيفكروا إزاي، اللي اختار أن دول إيه، وده مروي عن بعض السلف لكن مش ده الأرجح، الأرجح، وفيه حديث ضعيف جدًا في المسألة دي فلا يُستشهد به.

فالشاهد أن دول ناس تساوت حسناتهم مع سيئاتهم، ويدل على ذلك، أن هما عارفين الاتنين، كان متردد عارف أهل الجنة وبينادي عليهم، وعارف أهل النار المستكبرين وهينادي عليهم، كان عارف الاتنين لم ينحز إلى فئة معينة، مخترش الانضمام، لا، كان يسمع دول ويسمع دول، فعارف الاتنين، فاتكلم مع دول، واتكلم مع دول، لابد أن تأتي عليك مرحلة وأن تقوم بالفصل، "فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ" البقرة: ٢٤٩، لازم تفصل، مينفعش تبقى متردد، عايز أجمع بين دول ودول، عايز

أصلى التراويح واتبسط وأطلع أقعد على القهوة وأشيش وأتبسط وأطلع مش عارف، عايز أعمل ده وعايز أعمل ده، عايز اتبسط أسمع عبد الباسط عبد الصمد، وأسمع الحصري، وبرضه بعدها أضبط نفسي شوية، ويفضل متردد، متردد، متردد.

طب ليه مش عايز تفصل؟ يعني ليه تعرض نفسك للخطر ده؟ مسألة تساوي الحسنات والسيئات أمر عجيب، لذلك بعض المتأخرين زي ابن عاشور وغيره، مقدرش يستوعب قال لالا مفيش حاجة اسمها متوازنين، لا ده هما ناس بس متأخرين في دخول الجنة، مش قادر يتخيل يعني إيه أن الميزان يفضل متوازن كده، قالوا لا دول ناس سيتأخر دخولهم للجنة، يعني هيخشوا الجنة؛ حسناتهم أكتر من سيئاتهم، لكن عملوا معاصي تقيلة أخرت دخولهم الجنة، لكن خلينا مع رأي جمهور المفسرين.

الندم على فوات الطاعة في الدنيا

عارف يعني إيه دقة الميزان لدرجة أن يحصل توازن، حسنة، سيئة، حسنة، سيئة، حسنة، سيئة، تندم على الركعة الوتر اللي أنت مصلتهاش، تندم على الجنيه اللي أنت اترددت تطلعه ولا متطلعوش، ومطلعتوش، تندم على التسبيحة، تندم على الذكر، تندم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، على كل فعلة واحدة تركتها في الطاعة تندم عليها في هذه اللحظة، ولحظة الميزان وهو عمال يتوازن، لا تحقرن من المعروف وأيضًا لا تحقرن من السيئات شيئا، تبقى مرعوب، وتبص كده يا ترى لسه فاضل إيه هيتوزن، وأنت شايف إن فيه توازن وتقارب، يا ترى اللي هيتحط هيتوزن سيئة ولا حسنة، فهذا المشهد الدقيق، المعبر عن دقة هذا الميزان.

دقة الميزان يوم القيامة

احنا قلنا في أول السورة فيه إيه؟ ثقلت موازينهم، وخفت، عايزين دايمًا السورة، اللي هيساعدك على أنك تحفظ السورة وتصلي بيها، هناخد صفحة صفحة، شوية حاول تحفظ عدد الآيات اللي بناخده تحفظه، وهات السورة دايمًا من أولها، يعني لما ناخد صفحة ارجع اقراها من أولها، عشان تشعر بترابط هذه السورة لأن السورة طويلة، من أطول السور ليس في عدد الآيات، بعد سورة البقرة، فهذه السورة المتناسقة، تجد أن في الأول ذُكر الميزان، ثم هنا ذُكر دقة الموازين، هذه الدقة المتناهية إن فيه ناس وصلوا في النص تمامًا، ميزان أدق من ميزان الدهب.

لماذا يقول أهل الأعراف السلام لأهل الجنة؟

هؤلاء الناس كانوا يعرفون كلًا بيسماهم، عارفين أهل الجنة من النعيم، وعارفين الأشخاص أهل الدنيا، ويعرفون أهل النار و–العياذ بالله– قال بعضهم من سقوط جلود الوجه و–العياذ بالله–، فإما أن ده عذاب مخصوص للمستكبرين، أو يعرفونهم من الدنيا، الدليل أن هما كانوا عارفين الأشخاص دول تحديدًا يقول له فاكر في الدنيا، ما أغنى عنكم جمعكم،

أنت فاكر أنت كنت بتقول إيه في الدنيا؟ فالأعراف دول عارفين الأشخاص دول، وعارفين الأشخاص دول، طيب أول حاجة بينادوا على مين؟ بترتيب كده المتكلمين، حسب الرتبة، يتكلم أهل الجنة أولًا، ثم يتكلم أصحاب الأعراف، ثم يتكلم أهل النار، كلام حسب الرتبة، فينادون على أصحاب الجنة، "وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ" الأعراف: ٤٦، يعني إيه ليه تحديدًا هنا قالوا سلام عليكم؟ ليه تحديدًا أصحاب الأعراف لما اختاروا كلمة يقولوها لأهل الجنة قالوا لهم سلام عليكم، بعض المفسرين نظر إلى الوضع الحالي، أن دول قاعدين في الجنة، ودول ما بين الجنة والنار، فبيقول له –وده اختيار الطبري– لقد نلت السلام والأمان، يعني يا بختك أنت عديت.

أنتم الآن في دار السلام أما نحن فبين بين، سلام عليكم، اطمئنوا سالمين، فبعض المفسرين نظر إلى الوضع الحالي. بعض المفسرين نظر إلى الوضع الماضي، وده من المتأخرين بعض المفسرين قال سلام عليكم؛ الآن استرحتم من تعذيب هؤلاء، الآن نسيتم كل الألم؛ سلام عليكم، الآن تعيشون في سلامٍ وأمان، فاهمين الفرق.

اشتياق أهل الأعراف لدخول الجنة

فأصحاب الأعراف مشغول أنه ينال السلام ويحصل على السلام والأمن والطمأنينة، في أول كلمة أول لما يشوف أهل الجنة يقول له، يا بختك أنت الآن في دار السلام، أو يقول له: هل تذكر شيئًا من العذاب؟ هل تذكر شيئًا من الألم؟ سلام عليك، أنت الآن في سلام وأمان وطمأنينة، "سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ"، أغلب المفسرين أن في هذه اللحظات حينما ينظر أصحاب الأعراف إلى أهل الجنة، ويقولون لهم سلام عليكم، في هذه اللحظات يشتاق أهل الأعراف إلى دخول الجنة، فيقول الله –عز وجل– أو تقول الملائكة في هذه اللحظات لم يدخلوها، لأن أهل الأعراف لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون دخول الجنة، يعني في اللحظة دي وكأن أهل الأعراف في هذه اللحظة يبكون طمعًا وشوقًا لدخول الجنة، لما بص على أهل الجنة كده قال ياريتني كنت معاكم وبكى.

فيقول الله ربنا –سبحانه وتعالى– "لَمْ يَدْخُلُوهَا"، يبقى الفاعل هنا يدخلوها مين؟ أصحاب الأعراف، خدوا بالكم اللي بيلخبط الآيات دي الضمائر تعود على مين، لم يدخلوها أي أن أهل الأعراف لم يدخلوا الجنة وهم الآن يطمعون، لذلك قال الحسن: والله ما وضع الله الطمع في قلوبهم إلا لخير أراده لهم، ربنا وضع الطمع ده عشان هيدخلهم، عشان ربنا يبسطهم، أنت لما تكون بتطمع فيه وربنا يديهولك تتبسط، فيقول كثير من السلف وروي عن الحسن وغيره أن هذا الطمع الذي في قلوبهم وضعه الله في قلوبهم ليدخلهم الجنة "لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ".

وبعض أهل العلم قال، على أن أهل الجنة "لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ"، أي وهم يطمعون الآن دخولها، لكن قلنا خلاص أن دول استقروا في الجنة، وأن لم يدخلوها لأن أهل الأعراف لم يدخلوا الجنة وهم الآن في مرحلة الوقوف على الأعراف.

من الذي يصرف أبصار أهل الأعراف إلى النار؟

أهل الأعرف واقفين بيتكلموا مع أهل الجنة في هذا المشهد الجميل، ويقولوا لهم سلام عليكم والطمع بيزداد، وفجأة، أنت لو بتقرأ كده الآيات وإذا –يسموها الفجائية–، "وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ" الأعراف: ٤٧، مش وإذا صرفوا أبصارهم، وإذا صُرفت، صُرفت ده فعل مبني لغير الفاعل، فعل مبني للمجهول، حد صرف وشهم غصب عنهم، "صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ"، فيه قوة خلت البصر ينصرف، هو قاعد بيتكلم مع أهل الجنة وهو مبسوط فجأة ينصرف ببصره غصبًا عنه صُرفت.

فقال بعضهم: الملائكة تقوم بلي أعناقهم، والبعض قال أن الصارف هنا أمر معنوي، صريخ وعذاب أهل النار يجعلهم لا يتمالكون إلا وينظروا، عارف أنت غصب عنك تسمع صوت يخليك غصب عنك تبص، "وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ"، تخيل المشهد لو اخترنا قول أن هو سمع صوت وصريخ أهل النار، فمجرد ما وجد أهل النار يعذَّبون قال "قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ"، عايزك تعيش المشهد، أهم الأشياء اللي تؤثر فيك في القرآن معايشة المشاهد، هما قاعدين بيتكلموا مع أهل الجنة أن سلام عليكم خُتم المشهد قال ربنا "لَمْ يَدْخُلُوهَا"، لم يدخلوها بعد،"وَهُمْ يَطْمَعُونَ"، في هذه اللحظات يستمعوا إلى شيء أو تأتي الملائكة تصرف وجوههم فينظرون إلى النار.

حال أهل الأعراف مع أهل النار

أول ما قبل ما يتكلموا مع أهل النار، قبل ما يتكلموا معاهم زي ما اتكلموا مع أهل الجنة، قبل أن يتكلموا مع أهل النار يستعيذون أولًا، "رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ"، وبعد ما استعاذوا، "وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا" الأعراف: ٤٨، فين؟ الرجال دول فين؟ في النار، "رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ"، أشخاص معينين، "قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ"، الما دي بيسموها، احنا خدنا كذا نوع من الما، فيه ما نفي، فيه ما، حد يعرف دي ما إيه؟ مصدرية، يعني إيه مصدرية بقى؟ يعني ما أغنى عنكم جمعكم وما أغنى عنكم استكباركم، تشتبك مع فعل، أو ما أغنى عنكم كونكم مستكبرين، الاستكبار عملكم إيه؟ والجمع والفلوس والجمع من العُدة والعتاد والناس، والأتباع عملولكم إيه؟

الأشياء التي كانت تغري أهل الأعراف في الدنيا

أصحاب الأعراف دي الحاجات اللي كانت مخلياهم مش منطلقين مع أهل الإيمان، خوفهم من استكبار هؤلاء، وانبهارهم بالجمع، سواء جمع الناس أو جمع المال، أمال الحاجات دي راحت فين؟ الحاجات دي راحت منك، "مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ"، بعض المفسرين قال دي مقارنة لما قال لأهل الإيمان سلام عليكم، وقال أهل النار "جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ "، كأن أهل الأعراف رجعوا كده وعملوا مقارنة، في الدنيا كان دول مستضعفين لا ينالون السلام، ولا الأمان وهؤلاء معهم الجمع والاستكبار، الآن هؤلاء في سلامٍ وأمان وهؤلاء ضاع عنهم جمعهم، وضاع عنهم استكبارهم،

وكأن المقارنة اللي عملوها في الآخرة كانوا بيعملوها في الدنيا، أنه قاعد يقارن أمشـــي مع دول ولا مع دول، بس دول مستضعفين ومعذَّبين، طب أنا أعرِّض نفسي للأذى ليه؟ أمشي مع دول، بس دول برضه عندهم كفر وشركيات طب أنا ممشيش معاهم، هذا التردد هو الذي جعلهم من أهل الأعراف.

"أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ"

"أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَـــمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ" الأعراف: ٤٩، ركز معايا في قولين هنا معتبرين في الآية، مين المُخاطب؟ أهل النار، أهؤلاء بيتسألوا في حد بيسألهم بيقول لهم "أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ"، مين اللي بيسألهم؟ فيه خلاف، فيه قول أن ربنا بيســـألهم على أهل الأعراف، ربنا بيســـأل أهل النار، ربنا بيقول أهل النار "أَهَٰؤُلَاءِ"، أنتوا كنتم بتقولوا على أهل الأعراف والله ما انتوا داخلين الجنة "أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَـــمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ"، فيُبكِّتهم الله ويقول لأهل الأعراف "ادْخُلُوا الْجَنَّةَ".

يبقى القول الأول أن مين اللي هيسـأل؟ الله –سبحانه وتعالى–، يسـأل مين؟ أهل النار، يسـألهم عن مين؟ أهل الأعراف، يبقى احنا عندنا لازم نوصل أن فيه ثلاثة، الله –عز وجل– يسأل أهل النار عن أهل الأعراف، بيقول للمشركين أنتوا كنتوا بتحلفوا أن الناس دي مش داخلة الجنة، طب هيخشـــوا الجنة، طب هو ليه المشـــركين يحلفوا لأهل الأعراف في الدنيا أن أنتوا مش هتخشـــوا الجنة؟ أهل الأعراف كانوا مترددين، يروحوا لدول ويســـمعوا لدول، فأهل النار عشـــان يأكدوا لهم أن الإيمان بتاعكم مش نافع، والله ما أنت داخل الجنة يا أخي، خليك قاعد معانا بقى، والله ما هتنفعك بحاجة، وبيقســـم، المشرك بيحلف للمتردد أنه مش داخل الجنة، عشان خلاص يُحبط معدش يروح لأهل الإيمان تاني، عايز يقعدوا معاهم.

الكل متفق أن المخاطب مين؟ أهل النار، الخلاف من الذي يسـأل أهل النار ويسـألهم عن من؟ يبقى أهل النار بيتسـألوا، كده كده في كل الأقوال أهل النار هم الذين أقسـموا في الدنيا أن الله –عز وجل– لن يُدخِل أناسًـا الجنة، الكل متفق أن أهل النار أقسموا في الدنيا، كانوا يقسمون على أُناس أنهم لن تنالهم رحمة الله، طب أهل النار كانوا بيقسموا على مين؟ لو أن السـائل هنا، قالوا أن السـائل هو رب العزة –سبحانه وتعالى– والله –عز وجل– يسـأل أهل النار ويقول لهم: أكنتم تقولون على أهل الأعراف أني لن أرحمهم، سأرحمهم، سأرحمهم نكاية فيكم، ويدخلهم الله –عز وجل– الجنة.

فيقول الله –عز وجل– "أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَـــمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ"، يبقى ادخلوا الجنة ده أمر من الله – عز وجل– لأهل الأعراف بدخول الجنة، "لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ".

الخطاب بين أهل الأعراف وأهل النار

فريق من المفسـرين قال لا، السـائل هنا أهل الأعراف، وأن الخطاب مسـتمر بين أهل الأعراف، أهل الأعراف قالوا لأهل النار "مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْـتَكْبِرُونَ"، ثم تعجَّب أهل الأعراف، أهل الأعراف واقفين كده بيبصـوا على أهل

النار، على أشخاص معينين من أهل النار، وبيبصوا على الفقراء المستضعفين في الجنة، فأهل الأعراف بيقولوا لأهل النار، مش أنتوا كنتوا بتقولوا على أهل الجنة دول الفقراء دول، كنتم بتقولوا لنا والله الناس دي غلط، مش كنتوا بتضحكوا علينا، ألم تكونوا تقولون لنا على هؤلاء المستضعفين أن الله لن يرحمهم، الآن هم دخلوا الجنة، ونحن على الأعراف وأنتم في النار.

يبقى كان أهل النار بيضحكوا على أهل الأعراف، لأن أهل الأعراف كده كده مترددين، احنا قلنا أهل الأعراف كانوا مترددين، فأهل النار كانوا يمارسون نوع من الضغط النفسي على أهل الأعراف، إما أنهم كانوا يقسمون لأهل الأعراف، يروحوا يقولوا لأهل الأعراف والله ما أنت داخل الجنة وخلاص أنت مفيش منك أمل خليك معانا لأنه متردد، أو يروح لأهل الأعراف يقول له أنت متأثر بدول، أنت مقتنع بالناس، الناس دي والله ما هي شايفه جنة، الناس اللي بتصلي دول مرائين، دول أشرار متمشيش معاهم، مين اللي بيحذر مين؟ أهل النار بيحذر المتردد في الدنيا بالأعراف، فأهل الأعراف يوم القيامة بيستغربوا، بيقولوا لأهل النار مش دول اللي في الجنة، أليس هؤلاء الذين دخلوا الجنة، كنتم تقسمون لنا أنهم لن يدخلوا الجنة، هؤلاء الآن في الجنة ونحن على الأعراف وأنتم في النار.

المشرك دائمًا يقسم بالله

وبهذا ينتهي مشهد أهل الأعراف، ادخلوا الجنة إن ده خطاب لأهل الجنة أي استمروا في الجنة، وبعض المفسرين قال أن خلاص لما أهل الأعراف وصلوا للمرحلة دي وتعجبوا من أهل النار قال ربنا لهم "ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ"، تستوقفني قضية أن المشرك يقسم، "أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ" إيه؟ "أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ"، حاولت أجمّع في القرآن أقسام المشركين والمنافقين، حاولوا كده وانتوا بتعملوا ختمة، على ماذا أقسم المشركون والمنافقون؟ المشركين أقسموا على أشياء والمنافقون الذين لم يُظهروا الشرك كانوا يبطنون النفاق، أقسموا على أشياء، تجد أن أهل الشرك أقسموا أن أهل الجنة مش هيخشوا الجنة.

يعني لما يجي واحد ضال مشرك، بعيد عن الله يحلف أن أهل الخير غلط، وأن هما أشرار، زي ما قلنا المرة اللي فاتت، المستضعفين يقولوا للقادة "مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ"، مش انتوا قلتوا لنا على الناس دي أشرار، أمال الناس دي مدخلتش النار معانا ليه؟ الناس دي مش موجودة في النار ليه، مش أنتوا قلتوا لنا عليهم أن دول أشرار، فيقسموا، ويقسموا لئن جاءتهم آية ليُؤمنن بها جهد أيمانهم، ويقسمون ما لهم من زوال، "أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ" إبراهيم: ٤٤، يحلف إن هو سيستمر، وإن عرشه مستمر، وأنه لن يزيله أحد، لما تيجي تجمّع أقسام المشركين، وأقسموا أيضًا "لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ" النحل: ٣٨.

تجد أنا المشرك بيؤكد الباطل بالقسم، المشرك عارف منزلة القسم عند المؤمن، فيؤكد ما هو عليه بالقسم، إنما المنافق يقسم "لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ" النور: ٥٣، يقول لك والله لو الدين عايز مني حاجة أنفذ على طول، "قُل لَّا تُقْسِمُوا ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ"، اللي بيطيع معروف مش بالكلام، فو أنت بتختم كده جمَّع على ماذا أقسم المشركون.

"أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ"، انتهى كلام أهل الأعراف. تكلم أهل الجنة ثم تكلم أهل الأعراف، ثم يتكلم الآن و–العياذ بالله– أهل النار "وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ۚ" الأعراف: ٥٠، يبقى احنا قلنا أن أهل الجنة غالبًا السياق ممشينا أن أهل الجنة دول اللي كانوا مستضعفين في الدنيا، وأن أهل النار هنا اللي كانوا بيعذبوهم في الدنيا، وإن أهل الأعراف اللي كانوا مترددين، وكانوا خايفين من جمع واستكبار القادة أهل النار في الدنيا، وكانوا بينظرون إلى أهل الإيمان المستضعفين وكانوا يودون أن يكونوا معهم، وكانوا مترددين، ولكن اختاروا الإيمان لكن لم يُقدموا عليه.

احنا ممكن المعنى ده نستفاده من ايه من سياق الآيات.

الجزاء من جنس العمل

لذلك كما كان هؤلاء يمنعون الماء عنهم، هؤلاء أهل النار، يمنعون الماء عن أهل الجنة في الدنيا، الآن يُمنعون من الماء، "أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ "، لذلك ورد عن بعض السلف "وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ"، قال بعض السلف ينادون على رجال عظماء في الدنيا، مش بينادوا على أي حد، بينادوا على القادة، احنا قلنا المعنى ده موجود معانا في السورة، أولاهم وأخراهم ولكل ضعف، المعنى ده موجود، ده قول ابن زيد، وقال السُدِّي ينادون على ناس من الجبارين، مش بينادوا على أي حد، يعني أهل الأعراف لما بيختاروا ناس ينادوا عليهم بينادوا على الجبارين العظماء، اللي كانوا في الدنيا.

لماذا يطَّلع أهل النار على أهل الجنة؟

هؤلاء الجبارين أو هؤلاء الجبارون العظماء اللي كانوا في الدنيا، الآن ينادون على المستضعفين حينما دخلوا الجنة ويقولون لهم أفيضوا، "أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ۚ"، أفيضوا الفيضان ده الكثرة، هما شايفين الجنة مليانة خير، "أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ۚ"، حرف ما في اللغة ده حرف عايز فهم، بيسموه أبهم حرف في اللغة، حرف مبهم، يعني لما تبقى أنت مستعجب من حاجة بتستخدم حرف ما، أو مما، الشيء العظيم هما مش عارفين إيه بالضبط الرزق اللي في الجنة ده، هما عارفين الميه، أفيضوا علينا من الماء أو أي حاجة من اللي موجودة عندكم "أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ۚ"، أهل النار في الأصل لا يرون أهل الجنة، لكن هذه، بعض أهل العلم قال: بيُفتح لهم كوَّات زي شبابيك كده الفتحات دي معموله، عشان أهل الجنة يتشفَّوا وعشان أهل النار يزدادوا عذابًا ثم تُغلق

يعني الفتحة دي أو العلاقة دي، إن أهل الجنة بيكلموا أهل النار، "قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ" الصـــافات: ٥٤، يعني من نعيمهم أن الملايكة تقول لأهل الجنة عايزين تبصـــوا على أهل النار "قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ"، يقولوا نعم، "فَاطَّلَعَ"، يبص على قرينه اللي كان عايز يغويه "فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَـــوَاءِ الْجَحِيمِ" الصـــافات: ٥٥، يعني يُعرَض على أهل الجنة، يتقال لهم تحبوا تبصوا على اللي كانوا بيعذبوكم في الدنيا؟ "هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ"، فيقول له أه أنا موافق عايز أبص عليه، فاطَّلع فرآه في وسـط الجحيم، الفتحات دي معمولة لزيادة تعذيبهم، زي بالضـبط حديث النبي كده، أن المؤمن لما بيدخل القبر "يُفتح له باب إلى النار فيتعوذ، ثم يُغلق ويُقال له هذا منزلك لو كنت عصيت الله، والعاصي والفاجر والكافر يُفتح له باب إلى الجنة فيتحسر فيُقال له هذا منزلك لو كنت أطعت الله"، العذاب النفسي.

الحديث: "كنا مع نبيّنا في جَنازةٍ فقال: يا أيُّها الناسُ إن هذه الأمةَ تُبْتَلَى في قبورِها فإذا الإنسانُ دُفِنَ فتفرق عنه أصحابُه جاءه مَلَكٌ في يدِه مِطراقٌ فأقعده فقال له: ما تقولُ في هذا الرجلِ؟ فإن كان مؤمنًا قال: أشـــهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، أشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبدُه ورسولُه فيقالُ له: صَدَقْتَ، ويُفتَحُ له بابٌ إلى النارِ فيقالُ له: هذا كان منزِلَك لو كفرتَ بربِّك فأما إذ آمنتَ به فإنَّ اللهَ أبدلك به هذا فيُفتَحُ له بابٌ من الجنةِ فيريدُ أن ينهضَ إليه فيقالُ به: اســـكُن ويُفتَحُ له في قبرِه. وأما الكافرُ أو المنافقُ فيقالُ له: ما تقولُ في هذا الرجلِ؟ فيقولُ: لا أدري سمِعتُ الناسَ يقولون قولًا! فيقولُ: لادريتَ ولا تدرَّيتَ ولا اهتَدَيْتَ، ثم يُفتَحُ له بابٌ إلى الجنةِ فيقالُ له: هذا كان منزِلك لو آمنتَ بربِّك فأما إذا كفرتَ بربِّك فإنَّ اللهَ قد أبدلك به هذا، ثم يُفتَحُ له بابٌ من النارِ، ثم يَقْمَعُه ذلك المَلَكُ قَمْعَةً بالمِطراقِ فيَسْـمَعُها خلقُ اللهِ كلُّهم إلا الثقلين قال بعضُ أصحابِ رسولِ اللهِ ما مِنَّا أحدٌ يقومُ على رأسِه مَلَكٌ في يدِه مِطراقٌ إلا ذَهَلَ عند ذلك فقال رسولُ اللهِ "يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ" صححه الألباني

لماذا يمنع أهل الجنة الماء عن أهل النار؟

حينما ينظر أهل النار إلى أهل الجنة أفيضـوا علينا وأول حاجة بيطلبوها الماء، و–العياذ بالله– لشـدة الحر والألم، بل قال بعض أهل العلم: ينادي الرجل على أخيه وعلى أبيه، بعد أن تفحَّم وســقط لحم وجهه فلا يجيبه أخوه ولا أبوه، خلاص القواطع تقطعت بهم الأسـباب، الأنسـاب تقطعت، ينادي عليه " أَفِيضُـوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ۚ قَالَ: أهل النار في الدنيا المستكبرين كانوا يمنعون الماء استكبارًا، أما أهل الجنة يمنعون الماء طاعةً لله "إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ"، بأمرٍ قدري من الله، لأن مفيش شـرع هناك مفيش تشـريع، ""إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ الَّذِينَ"، بعض أهل العلم قال ده من عبارات أهل الجنة ببكتّوهم، يقول له أنت نسـيت؟ "الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا" الأعراف: ٥١، أنت كنت بتلعب بالدين، "وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا".

كان أهل النار يتخذون الدين لهو ولعب

يعني إيه "اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا"، بعض أهل العلم قال كما كان يتعامل أهل الدنيا مع اللهو اللعب يعرِضون عنهما، كان أهل النار يتعاملون مع الدين يعرضون عنه، يعني الرجل الجد الناجح في دنياه، خلينا حتى عشان تتصور المعلومات، واحد ناجح في الدنيا لما يتعرض عليه اللهو واللعب يقول لك لا ده تضييع وقت، هما كانوا بيتعاملوا مع الدين كده تضييع وقت، أنه لهو ولعب، "اتَّخَذُوا دِينَهُمْ"، أي نظروا إلى الدين على أنه لهو ولعب، يعني يشوف الناس رايحه تصلي، يقول لك الناس دي بتهزر، رايحين يضيعوا وقت، بيعملوا إيه؟ أو واحد بيُنفق يقول إيه ده رايح يدي فلوس لواحد ميعرفوش؟ ينظروا إلى الدين على أنه مجرد لهو ولعب.

السخرية من أشد سبل الصد عن سبيل الله

وقال بعض أهل العلم إيه "اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا"، أي كانوا يسخرون بيلعبوا الدين نكتة، " وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ" المطففين ٣٠: ٣١، يستغلوا موضوع " فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي" المؤمنون: ١١٠، بقى موضوع الدين بالنسبة له سُخرية، بقى يعمل برنامج عشان يسخر من الدين، يعني مصدر رزقه، "وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ" الواقعة: ٨٢، أحد مصادر الرزق، لأن ده أحد أوجه الآية، أحد مصادر الرزق أنه يسخر من الدين، ممكن لما يجب ينتشر شوية ممكن يسخر من الدين، فده أحد معاني "اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا"، يسخر من الدين، من تشريع الله، ومن السائرين في الطريق، وده أحد أوجه الصد، وهذا الأمر –السخرية–، من أشد أوجه الصد عن سبيل الله السخرية.

أهل الباطل عكسوا الآيات

يقول لك بعض المفسرين الشيخ حبنكة من المتأخرين حاول يجمّع كلمة "اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا" في القرآن، أيضًا وجدها في خمس أو ست مواضع، مرة في سورة الأنعام، ومرة في الأعراف، واتنين في المائدة، وحاول يجيب ما هي المواطن، وجد مرة في العقائد، ومرة في الصلاة، ومرة عند الآذان، ومرة في الولاء والبراء، هذه المواطن يسخر منها أهل الباطل، "اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا"، فإما معنى "اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا"، أن الدين بالنسبة له كان بينظر إلى الذين يسيرون في طريق الدين على أنه واحد بيلهو وبيلعب، في حين أن العكس ربنا سمَّى الدنيا لهو ولعب، "وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ" العنكبوت: ٦٤، الدنيا لهو ولعب، هما عكسوا قالوا إنما الدين لهو ولعب.

من يستغل الدين لتحقيق هواه يعاقبة الله

فيه خطاب لأهل الإيمان "وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا" البقرة: ٢٣١، الكافر اتخذ الدين كله لهو ولعب، فيه نهي لأهل الإيمان في سورة البقرة في آية الطلاق، "وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا"، طب معناها إيه؟ الآية نزلت في اللي بيطلّق زوجته

حتى إذا قاربت انقضاء العدَّة ردها مرة أخرى، ثم يطلقها حتى إذا قاربت انقضاء العدة ردها مرة أخرى، يعضلها، حتى أن هي تقول له خلاص طلقني وأنا هتنازل لك عن كل شيء، ظاهريًا ممكن محدش يعرف يمسك عليه حاجة، يقول لك هو أنا عملت حاجة حرام؟ أنا طلقتها وخلاص العدة قاربت على الانتهاء يقول لا أنا رجعت تاني حبتها أنا عايزها، وبعدين يطلقها، لكن هو كده بيلعب بالدين، فأحيانًا هناك أُناس أنت ممكن ظاهريًا تعتقد أن هو مبيعملش حاجة غلط لكن هو بيهزأ بالدين، هذا يعاقبه الله –عز وجل– عقابًا أليمًا، أنه بيلعب بالدين، استغل الدين لتحقيق هواه ليُضار.

وكذلك أيضًا مما ذُكر في سورة الأعراف من اللي حاولوا يلعبوا بأوامر الشريعة مين؟ اللي احتالوا ولعبوا على أوامر الشريعة مين في سورة الأعراف؟ أصحاب السبت، يجي لهم الأمر نهي عن الصيد يوم السبت يقوم يحطوا الشبكة يوم الجمعة ويشيلوها يوم الأحد ده لعب، يقول لك هو احنا عملنا حاجة غلط، هو احنا اصطدنا يوم السبت؟ النهي يوم السبت احنا اصطدنا يوم السبت؟ هذا الباب اللعب بالدين عقابه أشد، لذلك مُسخوا و–العياذ بالله–، وكذلك الذي يتعامل بهذا الدين قد تُمسخ نفسه ويُبغَّض إليه الدين و–العياذ بالله–.

ينسى الله الكافرين في النار كما نسوه في الدنيا

"الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا"، غرتهم الحياة الدنيا هي بالضبط "وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ" الأعراف: ٥١، نفس التوصيف اختار الدنيا ورفض الآخر، فاليوم يقول الله –عز وجل– "فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا"، هما كانوا في الدنيا ناسيين أن فيه آخرة؟ ولا كانوا متجاهلين، لذلك قالوا هنا نسيان بمعنى الترك، مش أن ربنا ينساهم لا، لذلك قال بعض أهل العلم: نسيهم الله من الخير ولم ينساهم من الشر، فكلمة –كما– زي ما كانوا لا يبالون بالدين وبنداءات أهل الدين لهم، كذلك لا يبالي الله بهم ولا بصراخهم في النار، "فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ"، ولا كأنهم موجودين، صراخ ويستمر البكاء والعويل في النار و–العياذ بالله–.

"فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا "، أي وكما كانوا ميستحبش الوقف هنا، "كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا "، أو كما كانوا بآياتنا يجحدون، يعني أيضًا بعض أهل العلم قال: أن ما هنا أيضًا مصدرية، أي وبسبب كونهم يجحدون بآيات الله، لأن أنت لو وقفت وقلت "كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا" وقلت "وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ"، ممكن تتفهم أن هي ما نفي، وبتنفي عنهم جريمة هما عملوها، هم كانوا يجحدون بآيات الله، خد بالك "وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا"، احنا قلنا من محاور سورة الأعراف قضية الآيات، التكذيب بالآيات، جحد الآيات، ظلم الآيات، الإعراض عن الآيات.

"وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ" الأعراف ٥١: ٥٢، نكمل هذه الآية المرة القادمة بإذن الله –عز وجل– وعلاقتها بهذه الآية، لكن حتى لا ننسى أن من المعنى الأساسي في سورة الأعراف التعامل الخاطيء

مع الآيات، هنا أناس يستجيبون للآيات، هناك أناس يعرضون، هناك أناس يترددون، هناك أناس ينسخلون من الآيات بعد أن قبلوها، وهناك أناس بعد أن ترددوا انطلقوا إلى أهل الإيمان، هناك أناس يجحدون بآيات الله، هذه الاختلافات أشبه بتعامل الأرض مع المطر، وهذا هو المثل الذي سوف يأتي المرة القادمة بإذن الله –عز وجل–، أرض تقبل المطر وتفرح به وتنبت، وأرض خبيثة لا تحفظ شيئًا من المطر، سوف يأتي المرة القادمة بإذن الله –عز وجل– هذه المقدمة ثم الأمثلة العملية، كيف تعامل الأقوام مع الرسل، كيف استقبل الأقوام آيات الله –عز وجل– منهم من أعرض، منهم من جحد، منهم من استكبر، هذا هو السياق العام لسورة الأعراف، حتى نستحضر التصور العام لهذه السورة.

اسأل الله –عز وجل– أن يجعلني وإياكم من أهل الجنة، وأن يجعلني وإياكم من أهل القرآن الذين هم أهله وخاصته، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.